الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 13) – 1992 – 1413

ارشيف نشريات
... دار الحا
٢١٤٣٨

(١٣)

الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة
هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

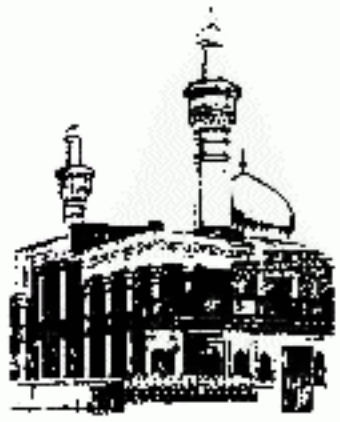

وبقي الحسين ... سيرة لاتموت ... وحديثا لايفوت

● الدكتور مصطفى الرافعي

إذا كان لبعض الأمم أيام يحتفلون بها ويقفون عندها لما اشتملت عليه من أمجاد ومفاخر فإن للأمة الإسلامية اياماً وعاها التاريخ وسجلها الزمن.

من هذه الأيام التي يحرص المسلمون على الوقوف عندها والتأمل فيها ليستلهموا منها عبراً وليستوحوا فيها خبرا «يوم عاشوراء»، وهو اليوم العاشر من شهر المحرم العربي، وقد يسمى التاسع كذلك تاسوعاء.

وقد اختلف العلماء والمؤرخون في تعليل تسمية (المحرم) بهذا الاسم وإن اتفق معظمهم على أن العرب سمّوه بهذا الاسم لحرمة القتال فيه. ويشارك (المحرم) في هذا الحكم ثلاثة أشهر أخرى هي: رجب وذو القعدة وذو الحجة.

كما اختلف العلماء مرة ثانية في تسمية اليوم العاشر من المحرم عاشوراء فقيل: لأنه عاشر المحرم وهذا واضح.

ارتبط يوم عاشوراء عند المسلمين بفكرة الفداء حين يخاطب النبي ابنته فاطمة الزهراء قائلاً: [لاتثريب عليك في بكاء ولدك المقتول المضرّج بدمه الزكي، فقد غاب عنك سرُّ هذا الاستشهاد، وستجزين عليه يوم القيامة...].

وقد اكتسب يوم عاشوراء معنى أعمق وأعظم عند المسلمين، وبخاصة لدى الشيعة الإمامية منهم، لكونه اليوم الذي استشهد فيه سبط رسول الله وحبيبه، سيدنا الحسين بن علي عليه السلام في معركة كربلاء سنة ٦٨٠م. حدث ذلك في مدينة «كربلاء» على مقربة من نهر الفرات، حين كلف ابن مرجانة عمر بن سعد بن أبي وقاص أن يقود جيش يزيد لملاقاة الحسين عليه السلام، وقبل بدء القتال تلاقى الرجلان وسأل عمر الحسين عن سبب قدومه إلى كربلاء، وماذا يريد؟

فأجابه: بأن أهل الكوفة كتبوا إليه أن أقدم علينا، فإن كانوا قد كرهوا الآن حضوره فإنه ينصرف عنهم، ثم قال الحسين عليه السلام لشانئيه: دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو اذهب في

هذه الأرض العريضة حتى ننظر إلى مايصير إليه أمر الناس، ولما طلب إليه التوجه إلى الكوفة لبيعة يزيد أبى الحسين أن يضع يده في يد يزيد، لأنه لم يقر يوم ببيعة يزيد، بل وكان يعتبرها إثماً كبيراً، ولما أدرك عليه السلام أنه قادم على قتال معهم لا محالة وقف يخطب الناس جرياً على سنة أبيه، الإمام علي (عليهما السلام) من قبل، فقال لهم:

«ياأيها الناس اسمعوا قولي ولاتعجلوني حتى أعظكم بما يجب لكم على وحتى أعذر إليكم، هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم؟ أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي؟ ثم توجه عليه السلام إلى يزيد بن الحارث قائلاً: ألم تكتب إليّ في القدوم عليكم؟».. هنا خرج زهير بن القين فأنذر المتآمرين على قتل الحسين عذاب الله تعالى وقال: (إن وُلد فاطمة أحق بالودّ والنصر من ابن سمية، فإن كنتم لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، والله لاينال شفاعة محمد قوم أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته).

كل هذا وأكثر منه لم يجد نفعاً ولم يحدث في نفوس المتآمرين أثراً، إذ رمى عمر بن سعد سهماً واتجه إلى زبانية يزيد قائلاً: اشهدوا لدى الأمير أني أول من رمى، فكان ذلك إيذاناً ببدء القتال. وأخذ الطرفان بعد ذلك ينادي بعضهم بعضاً للمبارزة، وكان رجال الحسين من خيرة المحاربين فيهم قوة وقدرة على القتال، فضلاً عن يقينهم بأنهم في جانب الحق ينصرونه بما آتاهم الله من عزم صادق وإيمان ثابت، فجعل الواحد منهم يخرج إلى ساحة الحرب فيقتل ثم يقتل، ثم يتكاثر الأعداء عليه فيقتلونه، ورأى جيش ابن مرجانه أنه لاقبل لهم بهؤلاء الأبطال إن هم استمروا على مبارزتهم بالسيوف، فلجأوا إلى رميهم بالسهام والحجارة، ودام القتال طويلاً حتى في رجال الحسين عن آخرهم.

ثم خرج إلى الحرب من كان معه من أهله فنالهم من التقتيل مانال أنصارهم من قبل، ولم يبق في النهاية من الرجال سوى الحسين وحده، فخرج إلى الميدان فكان يتجه إلى يمين فتأخذ المحاربين هيبته فيفرون من أمامه، ويتجه إلى شمال فيهابونه فيفرون ولو شاؤوا لقتلوه تواً، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء، ثم نادى فيهم شمر بن ذي الجوشن أن اقتلوه، فحملوا عليه، وطعنه (سنان بن أنس النخعي) فصرعه، ثم ذبحه واحتزّ رأسه، ثم دفعه إلى (خولي بن يزيد).

وقد وُجد بجسده (ثلاث وثلاثون طعنة برمح، وأربع وثلاثون ضربة بسيف، غير مائة وعشرين رمية بسهم في ثيابه، (ووطئت الخيل جثته مقبلة ومدبرة، حتى رضوا صدره وظهره).

وأخذ الجند، بعد استشهاده، في تجريده من ثيابه، ثم تعدّوا بعد ذلك إلى معسكر الحريم فسلبوا ماسلبوه، فلم يبقوا لهن من متاعهن شيئاً.

ورفعت رؤوس الشهداء على اسنة الرماح. أما الرأس الشريف فقد حمله (خولي بن يزيد) معه إلى منزله، ليبيت ليلته، ثم يحمله في غده إلى ابن مرجانة، آملاً من عطائه بغنى الدهر، ولم تدفن جثته، رحمه الله، ولا جثث الشهداء الأكرمين، بل تركت في العراء حتى قام بدفنها (جماعة من بني أسد كانوا ينزلون بتلك الأنحاء)... ثم غادروها في ذمة التاريخ، فهي اليوم مزار يطوف به المسلمون، متفقين ومختلفين، ومن حقه أن يطوف به كل إنسان لأنه عنوان قائم، لأقدس مايشرف به هذا الحي الأدمي بين سائر الأحياء.

واليوم وبين متناقضات من معاني الأسى والاعتزاز، وأخلاط من مشاعر الحزن والفخار، يندفع الحديث في مثل هذه المناسبة الكريمة الأليمة في وقت واحد، وينساق الكلام في هذه الذكرى التي لاتكاد تسلم النفس إلى فواتك الهموم والآلام حتى تسعفها بزاد جليل من غذاء الكرامة والإباء.

أما الحزن والأسى والآلام، فمصدرها واحد معلوم هو أننا نلتقي في هذه الساعة على تبادل العزاء في استشهاد سيد شباب أهل الجنة الحسين مع صفوة ميمونة من آل بيت النبوة عليهم جميعاً السلام، كان الإسلام يرجِّيهم للملمات ويعدُّهم للأزمات ويعقد عليهم الآمال فإذا الردى يعصف بهم، وإذا المنون يسطو عليهم ليختطفهم، وإذا القدر المتحكم يسلبنا أياهم بين طرفة عين وانتباهتها، ليتركنا من بعدهم في حرمان لاتنقضي فواجعه، ومأتم لاينفض سامره، وهمٌّ لايذهب تعاقب الليل والنهار بأثقاله.

حتى لكأن شاعرة العرب الخنساء تنظر إلينا وهي ترثي أخاها صخراً بهذا الشعر الرصين:

يذكرني طلوع الشمس صخراً ... وأذكره لكل غروب شمس
فلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكين مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

هذه دواعي الحزن التي تتملك النفس في مناسبة ذكرى استشهاد الإمام الحسين، ومنابع الألم الذي يجثم على القلب حين يُدعى المرء إلى الحديث في مثل هذا الاجتماع. ولكن من لطف الله بنا، ومزيد إحسانه إلينا، أن حول هذه المسألة سياجاً من المعاني الكريمة في خلال هذه الفجيعة وفيضاً من العزاء الأبي.

أولها: أننا مؤمنون والحمد لله، نعتقد أن الموت حق، وأن الأجل محدود، وأنه ماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله، وأنه ﴿لكل أجل كتاب فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون﴾.

هكذا شيمة الحياة وهذي ... سنة الله قدست عن مراء
في ثنايا السرور آفات حزن ... وإلى البأس خطو كل رجاء
واجتماع الأحباب رهن فراق ... والتماع المنى نذير إنطفاء
ماقضى الله لامحالة ماض ... فعلام الجوى وطول البكاء؟

وثانيهما: أننا نؤمن بأن هذه الضحايا العزيزة قد أدركت حظ الشهادة، ونعمت إن شاء الله بجنات الخلود، وظفرت بأجر الشهداء الأبرار، فاستبدلت داراً خيراً من الدار، وجواراً أكرم من الجوار، وهل من دار خير من جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين؟ أم هل من جار أكرم من جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ ولا والله لاينقص من طيب العزاء الساري من الأرواح، من هذه الناحية، أن يكون الحسين ونخبة معه من آل البيت الأطهار، قد أصابوا أجلهم، مجندلين بالسهام، أو لقوا حتفهم قتلى في المعركة، لاهلكى على نعومة الفراش، فلساعة واحدة من متاع الشهيد في جوار الله خير من دهر يقضيه المرء في لذائذ عيشه ونعيم دنياه.

لاتقولوا مضى قليلاً فهذا ... سأم الخلد في طريق البقاء
إن لين الفراش ليس يداني ... ومضة من تنعم الشهداء
ليتني مزق الرصاص فؤادي ... وغدت جنة الخلود جزائي

ومن أجل المعاني التي تشرق علينا بالعزاء والطمأنينة، مايكمن في ثنايا هذه المحنة من الدلالة الحية على أن عنصر الإباء يحتل مكانه في نفوس ناشئة البلاد، وعلى ان روح الجهاد والتضحية لم تغرب قط عن ابناء هذه الأمة، وأن المثل الأعلى الذي يحرك الهمم للبذل، ويسوق العزائم لتغمر مواكب الشهداء وتشكل قوافل الضحايا، لايزال بين الدوافع التي توجه شبابنا الأماجد وأبناءنا الأحرار على خطوط النار مع العدو الإسرائيلي وعملائه في جنوب لبنان. ولاجَرَمَ أن حظ الأمة من المجد إنما يؤمل بقدر حماسة أبنائها للبذل، وأن درجة الشعب من الشرف والكرامة إنما تقاس بمبلغ استعدادها للفداء.

من أجل ذلك تتغشى القلوب سكينة العزاء، حين نلمس في هذه الفجيعة فجيعة قتل الإمام ولفيف من أصحابه وآل بيته، البرهان الصادق على أننا أمة المجد، ونقرأ بين أسطرها الدامية الشهادة لنا بأننا شعب الاباء والجهاد، تلك الشهادة التي يرخص معها كل فداء ويهون في ظلها كل بلاء، وتستغني الثكلى بها عن كل مؤاساة:

حاشا يعزي بعضنا بعضاً وإن جل المصاب على شهيد فداء
ماكان خطباً أن يصون عرينه ليث فيغدو فيه طيّ فناء

فحسب هذه الريحانة العطرة لرسولنا الأعظم محمد ﷺ، الإمام الحسين، فخراً ومجداً وعظمة، إجماع المسلمين على حبه من السلف والخلف.

لقد كان عبدالله بن عمر بن الخطاب جالساً ذات يوم في ظل الكعبة فدخل الإمام الحسين المسجد الحرام، فقال ابن عمر لمن حضر وهو يشير إلى الحسين: هذا أحب أهل الأرض اليوم إلى أهل السماء.

لقد بلغ الحسين سبط رسول الله، من قلوب الصحابة وتابعيهم بإحسان المنزلة التي كان يؤثرونه بها على أنفسهم، وأولادهم وأهليهم، وذلك لقرابته من سيد الخلق، وماطبعه الله عليه من عظيم الأخلاق الموروثة من جده ﷺ، حتى لقد أقسم أبو بكر رضي الله عنه للزهراء أم الحسين، أنه يوقرها هي وبنيها أعظم من توقيره لكل ذويه، فيقول: يا حبيبة رسول الله: والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي، وإنك أحب عليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت قبله فداء له، يافاطمة إني لأعرفك وأعرف فضلك وشرفك.

وتحلف بالله السيدة أم سلمة زوجة رسول الله، أنها سمعت الجن تنوح على الحسين يوم أن استشهد رضي الله عنه، وكانت تقول: (أعطاني رسول الله ﷺ قبضة من تراب وقال: [احتفظي بها لديك، فإن رأيتها تحولت دماً فهو يوم قتل الحسين]. وكثيراً ماكانت تنظر إليها وتقول: إن يوماً تصيرين فيه دما لهوْ يوم عظيم).

وهذه المحبة من الأمة الإسلامية لمولانا الحسين تجلت يوم أن سعى الوزير الفاطمي «ابن رزيك» لنقل رأس الإمام الحسين إلى مصر، فما أن أحس الناس بنقل الرأس من العراق إلى مصر حتى تلقوها عراة الرؤوس حفاة الأقدام، من غزة إلى أن استقرت في القاهرة.

أما السيدة الطاهرة الشجاعة زينب شقيقة الحسين وحفيدة رسول الله، بطلة كربلاء، والتي وقفت كالمنارة المتلألئة إلى جانب الحسين في بطولة خارقة، وفدائية ساحقة، تدفع الموت ويأبى الموت أن يندفع، وتقاوم الجبروت ويأبى الجبروت إلاّ الدم والعار، ثم يتلهف قلبها وقلوب المؤمنين على حفيد

محمد وابن الزهراء الحسين، كيف يُمزّق إهابه ويُهدر دمه، وتُستباح محارمه، ويُذبّح أبناؤه، وتُسبى نساؤه وبناته، ويُمنع عنهم الماء، وتختطفهم مخالب الوحوش البشرية. فتصمد السيدة زينب صمود الأبطال الكماة، تحتضن إبناً للحسين لتحميه من الرماح، فيسبح الرمح الآثم فوق نحرها، وينفذ إلى الوليد ليصرعه ويغمر دمه ثيابها كلها..

إن في استشهاد سيدنا ومولانا الحسين بن علي وابن محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، عظاة وعبراً لايجوز لنا أن نمرّ بها غافلين: ففي هذه الذكرى الكريمة ينبغي أن نتلقى درساً في الوفاء والاستشهاد في سبيل الحق والعقيدة وإعلاء كلمة الله.

وليس مثل هذا الدرس من عبرة ولامثل هذه التضحية من استشهاد. وإن وقفة على شرفة الزمن واستعراضاً للأحداث الجسام، التي جرت للإمام الحسين ليست وحدها هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الحسين. فإن حياة الحسين وتاريخ الحسين، وجهاد الحسين ليست وحدها هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الحسين. فإن حياة الحسين وتاريخ الحسين وجهاد الحسين يشمل زمناً بأحداثه، وأن أندية المسلمين وجوامعهم وحسينياتهم حين تحتفل بهذه الذكرى كل عام، فإنما تحتفل بذكرى الفداء العظيم الذي أقدم عليه الحسين مقتحماً المنايا طلباً للآخرة وحماية للدين. ولافتاً أنظار المسلمين في كل زمان ومكان إلى أن الفداء هو منزلة أفذاذ الرجال وصفة عظماء الأبطال. وأعظم هؤلاء جميعاً من يخوض الصفوف ليحمي المال والأرض، ويصون الدين والعرض، بلا خوف من فوت، ولاوقوع على الموت. وإنه ليس في هذه الخلائق كلها أفضل من بطل يسفك دمه ليبقي قومه، ومن مقدم بدنه قربى إلى الله لينقذ روحه، ومن مفكر عاقل يغض بصره عن يومه ليرى غده، ولاضير عليه أن تنفصل أجزاؤه وتتفرق أشلاؤه ـ كما جرى للإمام الحسين ـ فكلنا نؤمن بوعد الله للشهداء وأهل الفداء حين يقول:

﴿ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾.

فيا أبطال المقاومة الشجعان في جنوب لبنان: لقد حملتم مشعل شهدائكم ـ وفي طليعتهم صاحب هذه الذكرى الشهيد الحسين فطرقتم سبيله، ومشيتم نحو الغايات التي كان ينشدها خطوات وخطوات، وحققتم بعضاً من أحلامكم، وها أنتم اليوم تقفون منيهة أمام ذكراه، تتشوفون الآمال الكبار، وتعالجون الآلام العصاب، وتترقبون الملاحم الصعاب.

وحسبكم يأبطال المقاومة الأشاوس أنكم حطمتم أسطورة جيش الغزاة الإسرائيلي، وقوافل القردة الخاسئين، التي زعموها لاتهزم، فأرغمتموها على الفرار مهزومة مدحورة أمامكم، ترسل الدماء والعرق والدموع مع جنودها، وأدوات التدمير عندها، بعد أن باؤوا بالخزي والعار، وعمدوا إلى تغطية جرائمهم أمامكم بتوجيه ضرباتهم إلى الآمنين، والأبرياء المسالمين:

ستّروا بضرب الآمنين فرارهم فاعجب لعار ستّروه بعار

تحية لكم ايهاالفدائيون الأبطال في جنوبنا الحبيب، تحية طيبة مباركة حين تلقاكم الملائكة، تبشركم بمنزلتكم في الجنة.

تحية إلى أمهات حملتكم، وبلبان العزة أرضعتكم، وبماء الكرامة والفداء سقتكم. تحية لكم من الأعماق، فلقد صنعتم للعرين أسوداً، وللأمة أمجاداً، وللحياة رجالاً.

إن أنباء انتصاراتكم تهزنا هزاً، وإن فخارنا ببطولاتكم سيظل يسري في نفوسنا نخوة وعزاً، فجهادكم المخلص اضاء أمامكم منار الحق، ورفع لواء النصر: **﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾**.

هذه الذكرى التي تذكر المسلمين جميعاً في كل مصر بما جرى للامام الحسين، وأهل بيته والصفوة من أصحابه، من اضطهاد وتعذيب، وتقتيل وتشريد، ثم ما أصابهم ـ رضوان الله عليهم ـ من إعزاز وإكبار وتقدير، على كل أرض، وعند كل قوم، وفي كل زمن، وكيف انصبت اللعنات على من كانوا السبب في مصارعهم، والعاملين على إبادتهم، ثم كيف بتنا نرى في كل بلد مسجداً جامعاً مأموماً للإمام الحسين، ولا نرى في بقعة من الأرض قبراً معروفاً ليزيد، ولا لعبيد الله بن زياد، وهكذا تعود الدنيا اليوم، وستعود غداً، وفي كل يوم، في كل أطراف الأرض، تثبت للناس ـ كل الناس ـ أن ابناء العقيدة أحياء وإن ماتوا، وباقون وإن ذهبوا، وقد ربح الإمام الحسين بما فعل، لأنه خسر الدنيا وظفر بالآخرة: **﴿والآخرة خير وأبقى﴾** ثم زالت خلافة يزيد، وزالت بهجة يزيد، وزال يزيد، وبقي الحسين، وذكرى الحسين، سيرة لاتفوت، وحديثاً لايموت.

● تراب كربلائي في الهند ..

صورة لمقبرة معروفة في مدينة حيدر آباد بولاية اندرابرديش الهندية وهي قريبة لمحلة معروفة في وسط المدينة اسمها «محلة دار الشفاء» ، وما يميز هذه المقبرة أن ترابها نُقل من كربلاء (بالعراق) حيث مثوى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ، إلى (البصرة) ومنها بواسطة البحر إلى الهند وأُسبست به مقبرة شهيرة تيمناً بالتراب الطاهر المضمخ بدم البطولة والشهادة تذكاراً لواقعة الطف وتبركاً ، ومن أعلام الهند المدفونين فيها الولي المعروف «شاه چراغ» .